يجمع بها الوهم والوعي المغترب فتماثل ذاتها بالوطن : « طفولتك ترافقك ، ولكنها ما عادت جزءاً منك ، إنها هناك بعيدة عنك ، مع ذلك الموج في أقصى الأفق ، في الجزيرة التي تراها في بحر أحلامك . ص : ٢٠ » .

في ملكوت الموسيقى والبحر والثقافة المغتربة تختلف دلالة الاشياء ، يخضع هذا « الملكوت المغترب » الوطن والأرض إلى عملية تحويل مستمرة تلغي الدلالة الحقيقية لهما وتقصيهما عن مسرح التاريخ لتقذف بهما في فضاء الكونية والمطلق . ما معنى هذا ؟ معنى هذا أن خصوصية الفلسطيني تتلاشى ويتلاشى معه في ذات الوقت الوطن وقضية الوطن ، يتحول الكل إلى حزمة مقولات ومفاهيم ومشاعر تبحث عن تحققها في الكون لا في النضال اليومي من أجل الوطن . ورواية « السفينة » زاخرة بالهموم الكونية إن لم تكن هي ذاتها رمزاً كونياً : « هذه الزرقة هي الشيء الوحيد الذي يلطف من غربتي . ص : ٢٧ » ، « بعد ان يزعم المرء ما شاء له الزعيم ، يبقى الوهم أمراً لا محيد له عني ، كأنه يقول : ارفع الوهم ، تسدل الظلام . ص : ٨٤ » ، ينوب الوطن في زرقة الكون وينفتح الوعي ليرمي بنثاره في فضاء السديم ، يتماهى الانسان بالكون ويجر في إيمانه الشعري الخالص ، إيمانه نقي لا يؤمن إلا بطرفين هما الذات والكون : « أكثر الفلسطينيين مهووسون بالبراءة التي فقدوها . ص : ١٠٨ » ، « إيمانها ، كايمان وديع ، شعري بحت . ص : ٩٢ » .

من الوطن كعلاقة موسيقية نصل إلى الفلسطيني المفجوع ببراءته ، ومن الايمان الشعري الأزرق نصل إلى التصوف في الوطن ، أو إلى الوطن كسحر غامض يساكن الألغاز السحرية الأخرى ، المهم أن المقال الروائي في السفينة لا يتعامل إلا مع المجرد والغامض والسحري والخفي ، وكيف لا وفلسطيني السفينة فلسطيني لا نراه ، فلسطيني يتدثر بلغته الأجنبية ويتلفع بالاشارات والرموز إلى أن تشظى في مدارات التصوف والوهم والحلول : « العالم الذي ننسحب إليه ، في نظري ، ربما كان أعمق حقيقة من عالم الواقع . ص : ٧٨ » ، « المسيح يلازمني ، حافيا ، كبير القدمين ، تقطر أصابعه الطويلة بالمعجزات ، وهو يكاد لا ينطق . ص : ٨٤ » .

نعود الآن إلى البدء ، وفي البدء تكمن النهاية ، والبدء فرد مطلق لا يتحدد إلا بجذره ، والفرد المطلق جوهر يتعامل مع جواهر أخرى ، والوطن جوهر آخر وعلاقة فلسفية . لكن المنطق لا يشب عن طوقه ، فهو يساير مجراه منسقاً وخاصة عندما ترسمه ذات مثقلة بالفن والثقافة كحال جبرا . إذا كانت البداية في الفرد والوطن محددة برؤيا فلسفية ـ مثالية فان هذه الرؤيا لا تكتمل إلا بوجهها الضروري الآخر : الرؤية الأخلاقية التي ترجع « فساد العالم » إلى صراع الخير والشر ، والخير هو « وديع » والشر طرف آخر ، و« وديع » مسكون بالمسيح والآخر مسكون بالأبالسة . لهذا فان مأساة « وديع » تتضمن سلسلة من الترابطات الأخلاقية أولها اللعنة وآخرها الحب . لنر ماذا يقول المقال الروائي :

ـ « لعنة واحدة هي أوجع اللعنات : لعنة الغربة عن أرضك . ص : ٢٧ » .

ـ « لماذا لا أرى إلا مجازر بشرية أكاقع لكي أنجو منها . فلا أنجو إلا إلى أماكن كلها خرائب وقاذورات ؟ . ص : ٨٢ » .

ـ « بطل الصراع أن يكون سياسيا . إنه شيء آخر ، والتسمية السياسية برقع مفضوح . ولن تؤدي إلا إلى المزيد من العذاب والبراقع المفضوحة . ص : ١٤٦ » .